الجُمْهُورِيَّةُ العَرَبِيَّةُ السُّورِيَّةُ
وِزَارَةُ التَّعْلِيمِ العَالِي
جَامِعَةُ تِشْرِين
كُلِّيَّةُ الآدَابِ وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّة
قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا

أَثَرُ تَعَدُّدِ الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ فِي تَوْجِيهِ المَعَانِي الدِّينِيَّةِ

فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَ إِعْرَابِهِ حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ

أُطْرُوحَةٌ

لِنَيْلِ دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاه فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا

إِعْدَادُ

الطَّالِب: يَاسِر مُحَمَّد مُطْلَق جِي

بِإِشْرَافِ

الأُسْتَاذ الدُّكْتُور: سَامِي عَوض

١٤٣٠-١٤٣١هـ

٢٠١٠-٢٠١١م

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

إِنَّهُ لَلِزَامٌ عَلَيَّ، مَدْفُوعَاً بِالإِخْلاَصِ وَالوَفَاءِ الخَالِصَيْنِ، أَنْ أَتَقَدَّمَ بِالشُّكرِ الوَفِيرِ وَالعِرْفَانِ الغَزِيرِ وَالثَّنَاءِ الجَدِيرِ وَالامْتِنَانِ الكَبِيرِ، إِلَى أُسْتَاذِيَ الجَلِيلِ المِفْضَالِ الكَرِيمِ الأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ سَامِي عَوَض.

الَّذِي لَمْ يَدَّخِرْ وَقْتَاً، وَلَمْ يَأْلُ جُهْدَاً، وَهُوَ يُقَدِّمُ لِيَ العَوْنَ وَالتَّوْجِيهَ وَالنُّصْحَ وَالإِرْشَادَ إِلَى جَادَّةِ الحَقِّ وَنُورِ الهِدَايَةِ وَسَبِيلِ الصَّوَابِ وَطَرِيقِ السَّدَادِ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَحْرُسَهُ بِعَيْنِهِ، وَيَزِيدَ مِنْ عُمْرِهِ، وَيَنْفَعَهُ بِعِلْمِهِ، وَيَكُونَ فِي عَوْنِهِ وَيُبَارِكَ لَهُ أَبَدَاً فِي عَمَلِهِ.

المُقَدِّمَـةُ

"هَدَفُ الدِّرَاسَـةِ، وَفَرَضِيَّاتُ البَحْثِ، ومَنْهَجِيَّتُهُ"

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَعْدَ حَمْدِ اللهِ تَعَالَى رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالسَّلَامِ عَلَى آلِ كُلٍّ وَصَحْبِ كُلٍّ وَتَبَعِ كُلٍّ أَجْمَعِينَ:

فَإِنَّ دَافِعِيَ الأَكْبَرَ إِلَى اقْتِحَامِ حَقْلِ هَذَا البَحْثِ الشَّائِكِ فِي أَنْحَاءٍ مِنْهُ، الإِشْكَالِيِّ فِي أُخْرَى؛ مِنْ أَجْلِ مُحَاوَلَةٍ جَادَّةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ لِتَمْهِيدِهِ وَتَشْذِيبِهِ، ثُمَّ ضَبْطِهِ وَتَحْصِينِهِ، مَرَدُّهُ إِلَى سُؤَالٍ شَغَلَنِي فِي سِنِيِّ دِرَاسَتِي كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاحِلِهَا، مَفَادُهُ: لِمَاذَا اخْتَارَ أُولَئِكَ النَّحْوِيُّونَ الأَفَاضِلُ عُنْوَانَ "مَعَانِي القُرْآنِ" وَمَا يَدُورُ فِي فَلَكِهِ، وَسْماً لِكُتُبِهِمُ الَّتِي كَتَبُوهَا فِي أَثْنَاءِ إِقْدَامِهِمْ عَلَى تَفْسِيرِهِمْ كِتَابَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، بِالاعْتِمَادِ عَلَى عِلْمِ النَّحْوِ؟!

فَكَانَتِ الرَّغْبَةُ فِي نَفْسِي تَجْتَاحُهَا لِاخْتِيَارِ دِرَاسَةٍ تُمَكِّنُنِي مِنَ الحُصُولِ عَلَى شَرَفِ المُحَاوَلَةِ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا الكَثِيرُ مِنَ الأَلَمِ فِي الإِجَابَةِ عَنْ شَيْءٍ -وَلَوْ يَسِيراً- مِنْ هَذَا التَّسَاؤُلِ الكَبِيرِ الَّذِي مَا زَالَ يَشْغَلُنِي إِلَى هَذِهِ اللَّحْظَةِ؛ إِذْ غَايَتِي الَّتِي حَاوَلْتُ أَلَّا أَحِيدَ عَنْهَا فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ الَّتِي كَانَ لِي أَخِيراً شَرَفُ خَوْضِ غِمَارِهَا- هِيَ إِثْبَاتُ أَنَّهُ لَيْسَ ضَرْباً مِنْ ضُرُوبِ المُصَادَفَةِ أَوْ عَدَمِ القَصْدِ، أَنْ يَكُونُوا قَدِ اخْتَارُوا مِثْلَ هَذِهِ العَنَاوِينِ فِي دِرَاسَتِهِمُ النَّحْوِيَّةِ لِتَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالوُقُوفِ عَلَى أَجَلِّ مَعَانِيهِ الدَّقِيقَةِ، عَائِدَاً بِمَفْهُومِ النَّحْوِ الوَاسِعِ إِلَى الأَسَاسِ الَّذِي فَهِمَهُ أُولَئِكَ النَّحْوِيُّونَ، وَيَنْبَغِي لَنَا -فِي هَذَا الوَقْتِ تَحْدِيداً مِنْ عُمُرِ النَّحْوِ، وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ عِنْدَ بَعْضِهِمْ بِمَفْهُومٍ ضَيِّقٍ لَا يَتَّفِقُ وَنَشْأَتَهُ الأُولَى وَنَظْرَةَ النَّحْوِيِّينَ الأَوَائِلِ إِلَيْهِ- أَنْ نَفْهَمَهُ.

وَكُلِّي رَجَاءٌ أَنْ أَكُونَ قَدْ وُفِّقْتُ فِي أَنْ أَهْتَدِيَ إِلَى ضَالَّتِي الَّتِي أُنْشِدُهَا، وَأَنْ أَصِلَ إِلَى غَايَتِي الَّتِي أَرْمِي الوُصُولَ إِلَيْهَا، مِنْ وَرَاءِ عَمَلِي -غَيْرِ الهَيِّنِ فِي كَثِيرٍ مِنْ جَوَانِبِهِ- فِي هَذَا البَحْثِ؛ لِأَنَالَ -مِنْ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ المُتَعَدِّدَةِ- شَرَفَ تَوْضِيحِ سَبَبِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ، فِي دِرَاسَةٍ تَرْبِطُ عِلْمَ النَّحْوِ بِالوَظِيفَةِ المَعْنَوِيَّةِ المَنُوطَةِ بِتَأْدِيَتِهَا؛ لِأَنَّهَا -أَوَّلاً وَأَخِيراً- كَانَتِ السَّبَبَ الرَّئِيسَ فِي ابْتِكَارِهِ وَاخْتِرَاعِهِ عِلْماً سَدَّدَ قَلَماً يَطْمَعُ نَجْمُهُ فِي سَمَاءِ العُلُومِ الأُخْرَى؛ كَيْلَا يَبْقَى لُغْزاً مُحَيِّراً تَسْمِيَةُ كُتُبِهِمْ بِـ: "مَعَانِي القُرْآنِ" أَوْ مَا يَدُورُ فِي فَلَكِ هَذَا المَعْنَى؛ لِيَصِلُوا عَنْ طَرِيقِ القَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ إِلَى فَهْمِ أَكْثَرِ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ.

فَقَدْ كَانَتْ رَغْبَةُ كُلٍّ مِنَ الكِسَائِيِّ وَالفَرَّاءِ وَالأَخْفَشِ وَالزَّجَّاجِ -وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّحْوِيِّينَ الَّذِينَ وَصَلَتْ إِلَيْنَا كُتُبُهُمْ وَالَّذِينَ لَمْ تَصِلْ، فِي مِثْلِ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّأْلِيفِ- الوُقُوفَ عَلَى مَعَانِي القُرْآنِ الكَرِيمِ عَلَى الصَّوَابِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ لَبْساً وَلَا غُمُوضاً وَلَا زَيْغاً وَلَا تَحْرِيفاً؛ فَلَجَؤُوا إِلَى قَوَاعِدِ النَّحْوِ وَسِيلَةً دَقِيقَةً أَمِينَةً فَعَّالَةً إِلَى غَايَتِهِمِ النَّبِيلَةِ الشَّرِيفَةِ المَنْشُودَةِ، ثُمَّ رَاحُوا يَسْتَنْبِطُونَ المَعَانِيَ المُخْتَلِفَةَ لِلْآيَةِ الوَاحِدَةِ مِنْ تَعَدُّدِ الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ لَهَا، أَوْ تَغَيُّرِ البُنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَدَوَاتِ النَّحْوِ الأُخْرَى؛ فَكَانَ لَهُمْ ذَلِكَ، بِأَنْ ضَبَطُوا كَثِيراً مِنْ مَعَانِي القُرْآنِ عَنْ طَرِيقِ عِلْمِ النَّحْوِ وَمَفَاتِيحِهِ وَأُنْظُمَتِهِ المُخْتَلِفَةِ، فَوَسَمُوا كُتُبَهُمْ بِعُنْوَانٍ يَكَادُونَ لَا يَحِيدُونَ عَنْهُ، إِلَّا إِلَى مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ أَوْ شَبِيهٌ لَهُ، وَهُوَ عُنْوَانُ: "مَعَانِي القُرْآنِ"؛

وَمَعْنَاهُ: مَعَانِي القُرْآنِ المُسْتَنْبَطَةُ مِنْ قَوَاعِدِ النَّحْوِ، أَوْ مَعَانِي القُرْآنِ المَبْنِيَّةُ عَلَى أُسُسِ مَعَانِي النَّحْوِ، أَوْ - كَمَا سَنَرَى - مَعَانِي النَّحْوِ فِي القُرْآنِ.

وَمِنْ هَذَا المَفْهُومِ الوَاسِعِ لِلنَّحْوِ العَرَبِيِّ كَانَ اعْتِمَادِي فِيهِ إِضَافَةً إِلَى هَذِهِ الكُتُبِ - عَلَى كُتُبِ إِعْرَابِ القُرْآنِ، وَمَجَازِهِ، وَتَأْوِيلِ مُشْكِلِهِ، وَتَفْسِيرِ غَرِيبِهِ؛ لأَنَّ مُصْطَلَحَاتِ (الإِعْرَابِ، وَالتَّأْوِيلِ، وَالغَرِيبِ، وَالمُشْكِلِ، وَالمَجَازِ) عِنْدَ أَصْحَابِهَا لَمْ تَدُلَّ - كَمَا سَنَرَى - عَلَى المَعَانِي الضَّيِّقَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا لَهَا عُلَمَاءُ البَلاَغَةِ وَالتَّفْسِيرِ فِيمَا بَعْدُ، لَمَّا دَلَّتْ عَلَى اسْتِكْنَاهِ أَسَالِيبِ النَّظْمِ، وَاسْتِخْرَاجِ آلِيَاتِ الصِّيَاغَةِ، وَاسْتِنْبَاطِ قَوَاعِدِ التَّعْبِيرِ، وَتَتَبُّعِ طُرُقِ البَيَانِ لِلْكَشْفِ بِالقُرْآنِ فِي تَعْبِيرَاتِهِ؛ لِيَصِلُوا بِهَا إِلَى حَقَائِقِ المَعَانِي الوَارِدَةِ فِيهِ وَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ كَيْفِيَّةَ التَّوَصُّلِ إِلَى فَهْمِهَا بِالوُرُودِ إِلَى اسْتِيعَابِ أَغْرَاضِهَا وَأَهْدَافِهَا وَمَقَاصِدِهَا الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا القُرْآنُ الكَرِيمُ بِمَا حَوَاهُ مِنْ آيَاتٍ مُبَارَكَاتٍ؛ وَكَانَ اعْتِمَادِي أَيْضاً عَلَى كُتُبِ مَعَانِي القِرَاءَاتِ، وَحُجَجِهَا، وَتَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَاذِّهَا؛ لأَنَّهَا تُعِينُ البَحْثَ فِي القَضِيَّةِ المِحْوَرِيَّةِ مِنْ بَابِهِ الثَّالِثِ عَلَى اسْتِخْلاَصِ المَعَانِي الَّتِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا القِرَاءَاتُ المُتَوَاتِرَةُ أَوِ الشَّاذَّةُ، وَتُسَاعِدُ فِي بَيَانِ دَوْرِ الاخْتِلاَفِ فِي هَذِهِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ فِي تَعَدُّدِ الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ الَّتِي تُسْهِمُ بِدَوْرِهَا فِي تَعَدُّدِ الدَّلاَلاَتِ وَتَنَوُّعِ الغَايَاتِ؛ حَيْثُ تَظْهَرُ مَرُونَةُ التَّشْرِيعِ فِي الأَحْكَامِ، وَالفُسْحَةُ فِي التَّكَالِيفِ، وَالاتِّسَاعُ فِي الجَوَازَاتِ لَدَى المُخَاطَبِينَ جَمِيعاً، عَلَى اخْتِلاَفِ مَسْؤُولِيَّاتِهِمْ وَاحْتِيَاجَاتِهِمْ وَضَرُورَاتِهِمْ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ إِطْلاَقَ مُصْطَلَحِ "كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ" فِي هَذَا البَحْثِ، يَقْصُدُ مِنْ وَرَائِهِ كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ وَمَجَازِهِ وَتَأْوِيلِ مُشْكِلِهِ وَتَفْسِيرِ غَرِيبِهِ؛ وَمَعَانِي قِرَاءَاتِهِ وَحُجَجِهَا وَتَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَاذِّهَا، المَأْثُورَةِ فِيهِ حَتَّى نِهَايَةِ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ؛ لِمَا سَأُبَيِّنُهُ مِنْ صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بَيْنَ هَذِهِ الكُتُبِ جَمِيعاً، مِنْ وَحْدَةٍ فِي الهَدَفِ الكَامِنِ وَرَاءَ المَنْهَجِ المُتَّبَعِ فِي كُلٍّ.

وَاضِعاً فِي حُسْبَانِي مَا ذَكَرَهُ الدُّكتور مُصْطَفَى نَاصِف فِي كِتَابِهِ "نَظَرِيَّةُ المَعْنَى فِي النَّقْدِ العَرَبِيِّ" بِقَوْلِهِ: «مَا يَزَالُ تَصَوُّرُ النَّحْوِ العَرَبِيِّ لِمَسْأَلَةِ المَعْنَى، مِنَ الأُمُورِ المُهِمَّةِ الَّتِي عَرَفَ عَنْهَا الدَّارِسُونَ المُحْدَثُونَ؛ لِصُعُوبَتِهَا، وَحَاجَتِهَا إِلَى دِرَاسَاتٍ كَثِيرَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ فِي الفَلْسَفَةِ وَاللُّغَةِ، وَفُرُوعٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ مِنَ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ، وَقَدِ اكْتَفَى المُحْدَثُونَ بِتَرْدِيدِ بَعْضِ القَضَايَا؛ مِنْ بَيْنِهَا أَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ عَامَّةً يَدْرُسُ اللُّغَةَ عَلَى أَسَاسٍ غَيْرِ سَلِيمٍ، وَأَنَّ النَّحْوَ لاَ يَكْتَفِي بِوَصْفِ الظَّوَاهِرِ، لِيَرُوحَ يَبْحَثُ عَنْ تَعْلِيلِهَا، وَكَثُرَتِ الاعْتِرَاضَاتُ المُوَجَّهَةُ إِلَى المَنْهَجِ؛ أَمَّا وَصْفُ المَنْهَجِ نَفْسِهِ، أَوْ تَفْسِيرُهُ - وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى تَصَوُّرُ البَاحِثِينَ المُتَقَدِّمِينَ لِمَسْأَلَةِ المَعْنَى - فَقَدْ أُهْمِلَ فِيمَا أَعْرِفُ، إِهْمَالاً لاَ يُمْكِنُ الدِّفَاعُ عَنْهُ بِسُهُولَةٍ؛ وَنَتَجَ عَنْ ذَلِكَ أَنَّ صِلَتَنَا العَاطِفِيَّةَ بِجَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ التُّرَاثِ، تَعَرَّضَتْ لِمَا يُشْبِهُ التَّفَكُّكَ»[1].

وَعَلَيْهِ فَقَدْ حَاوَلْتُ بِكُلِّ مَا أُوتِيتُهُ مِنْ تَوْفِيقٍ وَقُدْرَةٍ وَوَسَائِلَ وَأَدَوَاتٍ - أَنْ أُرَكِّزَ فِي هَذَا البَحْثِ عَلَى الجَانِبِ المَعْنَوِيِّ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ القَدِيمِ، دَافِعاً فِي كَثِيرٍ مِنْ جَوَانِبِهِ - بِالحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ - أَوْهَامَ نَفَرٍ مِنَ النَّحْوِيِّينَ القُدَمَاءِ بِالجَهْلِ لِدَوْرِ النَّحْوِ وَوَظِيفَتِهِ فِي الكَلاَمِ، مِنْ قِبَلِ بَعْضِهِمْ، وَمُثْبِتاً أَنَّهُمْ دَرَسُوا النَّحْوَ فِي كُتُبِهِمْ وَتَفَاسِيرِهِمْ - مُنْذُ النَّشْأَةِ الأُولَى لِعِلْمِ النَّحْوِ - عَلَى أَسَاسِ أَنَّهُ يَبْحَثُ فِي تَرَاكِيبِ الجُمَلِ وَعَلاَقَاتِهَا وَبِنَاءِ الكَلِمَاتِ وَتَصَرُّفَاتِهَا، وَأَنَّهُ لَيْسَ ضَيِّقَ بِحُدُودِ الإِعْرَابِ وَعَلاَمَاتِهِ.

---

(1) نَاصِف، د. مُصْطَفَى، نَظَرِيَّةُ المَعْنَى فِي النَّقْدِ العَرَبِيِّ، دَارُ القَلَمِ، القَاهِرَةُ، ١٩٦٥م، ص٧.

وأُؤكِّد هنا على هذه الناحية من جهة أُخرى، سنلمحها في أماكن متعدِّدة من بحثنا هذا، وهي أنَّ أصحاب كُتُب معاني القرآن وإعرابه كانوا – شأن بقيَّة من ألَّف في التفسير من النحويِّين الآخرين – يكتفون في أداء غير قليلة من كُتُبهم، في أثناء سعيهم وراء معاني الآيات الكريمة، بذكر التوجيه النحويِّ لها، دون ذكر المعنى الناتج عنه؛ بدافع إيمانهم وتسليمهم بأنَّ قواعد النحو بمفهومه الواسع الذي ستتحدَّث عنه في الباب الأوَّل– يُدرك المعنى عن طريقها ذهنيًّا، بمجرَّد تحديدها وتوجيهها وضبطها، دون الإشارة إليه إشارة مباشرة(١)؛ وأؤكِّد أيضاً على أنَّه لم يحتج إلى تفسير المعنى الناتج عن الأوجه الإعرابيَّة، إلَّا بعد الابتعاد عن عصور الفصاحة العربيَّة، وهذا ما دفعني –في أثناء إثباتي دور النحو العربيِّ في الكشف عن كثير من المعاني الدِّينيَّة في القرآن الكريم في المبحثين الثَّاني من فصلي الباب الثَّالث– إلى ذكر الوجه الإعرابيِّ، ثُمَّ تقديم المعنى المتأتِّي من ورائه.

وفي سبيل ذلك حصرتُ الدِّراسة في القرآن الكريم عامَّة؛ لأنَّه المصدر الأوَّل والرَّئيس للنَّحو العربيِّ الذي اشتقَّ منه العلماء علومه كافَّة؛ وفي كُتُب معاني القرآن وإعرابه حتَّى نهاية القرن الرَّابع الهجريِّ خاصَّة؛ لأنَّ أصحاب هذه الكُتُب يركِّزون فيها على المعنى المتأتِّي من الاختلاف في الإعراب؛ وهي غاية البحث الرَّئيسة المنشودة، في هذه الفترة التي اكتملت فيها جهود النَّحويِّين، وتأصَّلت قواعدهم، وانتظمت أقيستهم، مع الرَّغبة في إظهار دور أصحاب كُتُب معاني القرآن وإعرابه في ذلك كلِّه؛ وفاءً لجهودهم الكبيرة الجليلة المشكورة الَّتي بذلوها في خدمة النَّحو العربيِّ وعلوم العربيَّة عامَّة، وكتاب الله الكريم خاصَّة.

وقد جعلتُ عنوانه: "أثر تعدُّد الأوجه الإعرابيَّة في توجيه المعاني الدِّينيَّة في كُتُب معاني القرآن وإعرابه حتَّى نهاية القرن الرَّابع الهجريِّ)".

ورأيتُ أن يكون في أربعة أبواب، يسبقها مقدِّمة، ويتلوها خاتمة، بعدها فهارس البحث:

أمَّا الباب الأوَّل: "صلة النَّحو بالمعنى في ضوء كُتُب معاني القرآن وإعرابه" ففيه فصلان:

تناولتُ في الفصل الأوَّل منهما – في مباحثه الثَّلاثة– دور النَّحو ومكانته وأهمِّيَّته في جلاء المعنى وتوضيحه، في ضوء التَّأكيد على ارتباط النَّحو بالدِّلالة في مفهومه الواسع ومستوياته المختلفة من جهة، وتفعيل ارتباط الدَّرس النَّحويِّ بالقرآن الكريم منذ بداياته الأولى من جهة ثانية، وتوثيق تعدُّد مظاهر تأليف النَّحويِّين واللُّغويِّين القدامى في تفسير القرآن الكريم وإعرابه من جهة ثالثة.

وتناولتُ في الفصل الثَّاني –في مباحثه الثَّلاثة– كُتُب معاني القرآن وإعرابه حتَّى القرن الرَّابع الهجريِّ، تناولاً نظريًّا، في ضوء إبراز أثر الجهود النَّحويَّة واللُّغويَّة الأولى فيها، عن طريق كثرة النُّقول عنهم، والاعتماد عليهم في بعض تخريجاتهم النَّحويَّة، وتوثيق القراءات القرآنيَّة والاحتجاج

---

(١) وليس – كما نرى لبعضهم أو خُيِّل أو صُوِّر – عجزاً من نحويِّينا القدماء عن إعطاء المعنى من جهة، أو إيماناً بعزل النَّحو وقواعده عن الدِّلالة من جهة ثانية، أو جهلاً بمعرفة وظيفته الإفهامية المنوط بتأديتها، ونحوه الفعَّال في ضبط المعنى من جهة ثالثة؛ وإلَّا فما الغاية الَّتي سعوا إليها في اعتمادهم على النَّحو في تفسيرهم كتاب الله تعالى في كُتُبهم هذه؟!.

بالشَّواهد الشِّعريَّة من جهة؛ والتَّعريف الموجز بكُتب معاني القرآن وإعرابه حتَّى القرن الرَّابع الهجريِّ، وفيها، ومنهجها، ومكانتها من جهة ثانية؛ وإظهار أثر هذه الكُتب في توجيه المعاني في القرآن الكريم من طُرق عدَّة من جهة ثالثة.

وأمَّا الباب الثَّاني: "مظاهر التَّعدُّد في التَّحليل النَّحويِّ في كُتب معاني القرآن وإعرابه"، ففيه أيضاً فصلان:

تناولتُ في الفصل الأوَّل منهما صور الاختلاف في التَّوجيهات النَّحويَّة في تنوُّع المعاني وتعدُّد الدِّلالات تناولاً تحليليًّا عامًّا، دون تقييد للمعاني القرآنيَّة فحسب؛ بقصد إظهار صور تلك الاختلافات الفعَّال، وبيان أهمِّيَّتها الكبرى، وإبراز أثرها المُنتج في الوقوف على دقائق المعاني عامَّة، والوقوف على توضيحها وتأويلها وتخريجها على الوجه الَّذي يرتضيه لها هذا العالم النَّحويُّ أو ذاك.

وتناولتُ في الفصل الثَّاني أهمَّ أسباب الاختلاف النَّحويِّ بين أصحاب كُتب معاني القرآن وإعرابه، وتبيَّن لي لحدٍّ تتبُّعي لأهمِّ أسباب هذه الاختلافات، ذات الصِّلة بالتَّوجيه النَّحويِّ، عند أصحاب هذه الكُتب- أنَّ مردَّها إلى أشياء كثيرة مختلفة متشعِّبة متفرِّعة (متجانبة متداخلة أحياناً، ومتنافرة متباعدة أحياناً أُخرى): منها أسبابٌ تتعلَّقُ بأدلَّة النَّحو الأُصول المُباشرة (كالسَّماع، والنَّقل)، وغير المُباشرة (كأدلَّة النَّحويَّة، والقياس، والأصل والفرع)؛ ومنها أسبابٌ تتعلَّقُ بأدلَّة النَّحو الفروع المُباشرة (كالإجماع)، وغير المُباشرة (كاستصحاب الحال)؛ ومنها أسبابٌ تتعلَّقُ بالذَّوق الفرديِّ والحسِّ الخاصِّ والسِّياق العامِّ (كالعامل، والتَّأويل، والاجتهاد)؛ ومنها أسبابٌ تتعلَّقُ بالتَّرخُّص في القاعدة النَّحويَّة (كالقراءات، واحتمال الكلمة غير وجه إعرابيٍّ واللُّغات، والمعنى، والتَّضمين، وكثرة الاستعمال)؛ ومنها أسبابٌ تتعلَّقُ بطبيعة اللُّغة العربيَّة الصَّوتيَّة (كتغيُّر ظهور الحركات، والوقف والابتداء، والإدغام، والتَّنغيم)، وغير الصَّوتيَّة (كأمن اللَّبس، وبنية الكلمة، والقرينة).

ولا يُمكنني إغفال الإشارة في هذا المقام، إلى الصُّعوبات الَّتي واجهتني في أثناء بحثي في أهمِّ الأسباب الَّتي دفعت بأصحاب كُتب معاني القرآن وإعرابه إلى هذه الاختلافات المُضبطة في مُجملها فيما بينهم؛ وهي أنَّ أحداً من النَّحويِّين- القُدماء والمُتأخِّرين والمُحدثين والمُعاصرين- لم يبحث في هذه الأسباب وبتأتِّها؛ لأنَّ البحث كان ينصبُّ عادةً على مُناقشة مسائل الاختلافات نفسها والمُفاضلة بينها بعد وقوعها، دون الإشارة أو البحث في الأسباب الَّتي أدَّت إلى شُوبها فيما بينهم؛ لذلك كان اعتمادي الأوَّل والأخير- في أثناء عملية تقصِّي أسباب الاختلاف السَّابقة- على البحث العلميِّ الجادِّ المُتواصل، والعلى الدَّؤوب اللَّحوح المُتكرِّر، عن طريق محاولة استقرائي لكُتبهم استقراءً واسعاً، والنَّظر في الآليَّة الَّتي اعتمدها كُلٌّ منهم في أثناء توجيهه النَّحويِّ لآي القرآن الكريم، وفي الأُسس والقواعد الَّتي اتَّكأ عليها في أثناء ذلك، وظبيعة لُغتنا العربيَّة وقوانينها وأنظمتها المُتَّخذة، نظرةً عميقةً أرجو

أَنْ أَكُونَ قَدْ أَصَبْتُ مِنْ خِلَالِهَا فِي جَمْعِهَا وَإِخْرَاجِهَا وَتَرْتِيبِهَا وَتَبْوِيبِهَا عَلَى الشَّكْلِ الَّذِي انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، مَعَ إِثْبَاتِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالشَّوَاهِدِ وَالأَدِلَّةِ وَالنُّقُولِ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا البَابُ الثَّالِثُ: "أَثَرُ الاخْتِلَافِ فِي النَّحْوِ وَالقِرَاءَاتِ فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ فِي تَوَجُّهِ الدِّلَالَاتِ" فَفِيهِ فَصْلَانِ كَذَلِكَ:

تَنَاوَلْتُ فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ مِنْهُمَا – فِي مَبْحَثَيْهِ– أَثَرَ التَّعَدُّدِ فِي التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ فِي هَذِهِ الكُتُبِ فِي اتِّسَاعِ المَعَانِي، فِي ضَوْءِ التَّأْكِيدِ فِي المَبْحَثِ الأَوَّلِ مِنْهُ عَلَى دَوْرِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ وَمَكَانَتِهِ فِي فَهْمِ التَّرْكِيبِ القُرْآنِيِّ وَاسْتِنْبَاطِ أَحْكَامِهِ، وَأَثَرِ الاخْتِلَافِ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ عَامَّةً عَلَى اخْتِلَافِ مَدَارِسِهِمْ وَتَوَجُّهَاتِهِمْ، فِي تَنَوُّعِ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ خَاصَّةً، بَعْدَ أَنْ تَمَّ التَّأْكِيدُ فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ مِنَ البَابِ الثَّانِي عَلَى دَوْرِهِ فِي فَهْمِ المَعَانِي الدِّلَالِيَّةِ لِلتَّرَاكِيبِ عَامَّةً، دُونَ تَقْيِيدِهَا بِالمَعَانِي القُرْآنِيَّةِ فَحَسْبُ؛ بِقَصْدِ التَّرْكِيزِ عَلَى إِظْهَارِ أَثَرِ تِلْكَ الاخْتِلَافَاتِ المُنْتِجِ، وَدَوْرِهَا الفَعَّالِ فِي الخُرُوجِ بِأَوْضَحِ مَعَانِي الآيَاتِ الَّتِي يَقِفُونَ إِزَاءَ دِرَاسَتِهَا، وَالوُقُوفِ عَلَى أَدَقِّ الأَحْكَامِ الَّتِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا، بِنَاءً عَلَى رَأْيٍ يَذْهَبُ إِلَيْهِ هَذَا النَّحْوِيُّ، أَوْ رَأْيٍ آخَرَ يُخَرِّجُهُ نَحْوِيٌّ آخَرُ وَهَكَذَا.

وَفِي ضَوْءِ التَّأْكِيدِ فِي المَبْحَثِ الثَّانِي، عَلَى دَوْرِ الاخْتِلَافِ فِي الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ فِي هَذِهِ الكُتُبِ فِي تَوْجِيهِ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ دِرَاسَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ لِبَعْضٍ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الأَكْثَرِ إِشْكَالاً وَمُدْعَاةً لِلاخْتِلَافِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، تَبَعاً لِعَوَامِلَ كَثِيرَةٍ مُتَشَابِكَةٍ وَمُتَبَايِنَةٍ عَدِيدَةٍ مُتَوَاشِجَةٍ، تُسْهِمُ مُجْتَمِعَةً فِي تَعَدُّدِ الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ لِلآيَةِ الوَاحِدَةِ الَّتِي تُسْهِمُ بِدَوْرِهَا فِي تَنَوُّعِ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَنْفَتِحُ عَلَيْهَا مُثْبِتاً فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِثْبَاتاً عَمَلِيّاً قَائِماً عَلَى الدِّرَاسَةِ وَالتَّدْقِيقِ وَالاسْتِقْرَاءِ الدَّقِيقِ وَالتَّحْلِيلِ العَمِيقِ لِمَاهِيَّةِ هَذَا العِلْمِ الجَلِيلِ – بَعْدَ أَنْ أَثْبَتُّهُ نَظَرِيّاً فِي البَابَيْنِ السَّابِقَيْنِ– أَنَّ هَذَا الفَهْمَ الوَاسِعَ لِلنَّحْوِ العَرَبِيِّ المُتَلَاحِمَ مَعَ البُعْدِ الدِّلَالِيِّ، الَّذِي انْتَهَتْ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الدِّرَاسَاتِ العِلْمِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الحَدِيثَةِ، لَمْ يَكُنْ خَافِياً عَلَى نَحْوِيِّينَا القُدَمَاءِ، فِي أَثْنَاءِ تَأْصِيلِهِمْ قَوَاعِدَهُمُ النَّحْوِيَّةَ مِنْ جِهَةٍ، وَمُنَاقَشَتِهِمُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةَ وَالشَّوَاهِدَ الشِّعْرِيَّةَ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، وَأَقْوَالِهِمُ المَشْهُورَةِ هُنَا وَهُنَاكَ، الَّتِي أَكَّدُوا فِيهَا هَذَا الفَهْمَ صَرَاحَةً أَوْ تَأْوِيلاً فِي كُتُبِهِمْ أَوْ فِي الكُتُبِ الَّتِي نَقَلَتْ عَنْهُمْ مِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ.

وَتَنَاوَلْتُ فِي الفَصْلِ الثَّانِي –فِي مَبْحَثَيْهِ– دَوْرَ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ فِي تَوْظِيفِ العَنَاصِرِ النَّحْوِيَّةِ فِي هَذِهِ الكُتُبِ لِأَدَاءِ مَعَانِيهَا؛ وَقَدْ أَفْرَدْتُ المَبْحَثَ الأَوَّلَ مِنْهُ لِتَسْجِيلِ مَوَاقِفِ أَصْحَابِ هَذِهِ الكُتُبِ النَّحْوِيَّةِ مِنَ الاحْتِجَاجِ لِلْقِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ (المُتَوَاتِرَةِ وَالشَّاذَّةِ)، الَّذِينَ – كَمَا سَنَرَى– تَخَبَّطُوا فِي مَنْهَجِهِمْ فِي الاحْتِجَاجِ لَهَا، وَلَمْ يَلْتَزِمُوا بِمَا صَرَّحُوا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَنَّ القِرَاءَةَ سُنَّةٌ لَا تُخَالَفُ، وَأَنَّ كُلَّ قِرَاءَةٍ بِمَنْزِلَةِ آيَةٍ، مَا عَدَا أَبَا عُبَيْدَةَ (مَعْمَرَ بْنَ المُثَنَّى)؛ فَهُوَ الوَحِيدُ مِنْ بَيْنِهِمُ الَّذِي لَمْ يُخَطِّئِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةَ عَلَى اخْتِلَافِهَا، بَلْ وَقَفَ هَذَا المَوْقِفَ احْتِرَاماً وَإِجْلَالاً وَتَقْدِيراً وَقَبُولاً وَتَوْجِيهاً وَإِيمَاناً بِكَوْنِهَا خَارِجَةً بِطَرِيقٍ أَوْ بِآخَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِمَّا أَوْحَاهُ اللهُ – جَلَّ وَعَلَا– عَلَيْهِ.

وتَكَفَّلَ المَبْحَثُ الثَّانِي بِالتَّأْكِيدِ عَلَى دَوْرِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ فِي تَعَدُّدِ الأَوْجُهِ الإِعْرَابِيَّةِ فِي هَذِهِ الكُتُبِ، وَأَثَرِهَا فِي تَوْجِيهِ المَعَانِي القُرْآنِيَّةِ، فِي ضَوْءِ الوُقُوفِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَعَدَّتْ إِعْرَابَاتُهَا وَمَعَانِيهَا بِتَعَدُّدِ قِرَاءَاتِهَا، تَرْغِيباً فِي التَّكَالِيفِ، وَتَسْهِيلاً لِلأَحْكَامِ، وَتَحْصِيناً لِلدِّينِ المَعْهُودِ لَهُ أَنْ يَكُونَ صَالِحاً لِكُلِّ عَصْرٍ وَمِصْرٍ وَأَوَانٍ، وَكُلِّ بِيئَةٍ وَكُلِّ عِرْقٍ وَكُلِّ أَرْضٍ وَكُلِّ شَعْبٍ وَكُلِّ مَكَانٍ؛ مُبْرِهَاناً عَلِيّاً صَادِقاً عَلَى أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الاحْتِجَاجَ لِكَثِيرٍ مِنَ القِرَاءَاتِ مِنَ النَّحْوِيِّينَ (البَصْرِيِّينَ مِنْهُمْ، أَوِ الكُوفِيِّينَ) قَدْ ضَيَّعَ عَلَى عُلُومِ التَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ وَالأَصْوَاتِ وَالنَّحْوِ وَالبَلاَغَةِ وَالصَّرْفِ وَغَيْرِهَا، الكَثِيرَ مِنَ المَوَادِّ الدِّرَاسِيَّةِ الَّتِي تُسْهِمُ إِسْهَاماً كَبِيراً فِي تَدْعِيمِهَا وَاتِّسَاعِهَا مِنْ جِهَةٍ وَفِي تَسْهِيلِ مَبَاحِثِهَا وَتَطْوِيرِهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.

وَأَمَّا البَابُ الرَّابِعُ: "قِرَاءَةُ الأَوْجُهِ الاخْتِلاَفِيَّةِ فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ قِرَاءَةً مُعَاصِرَةً"، فَفِيهِ أُبَيِّنُ فَصْلاَنِ:

تَحَدَّثْتُ فِي الفَصْلِ الأَوَّلِ مِنْهُ عَنِ الجُهُودِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ القَدِيمَةِ عَامَّةً، وَجُهُودِ أَصْحَابِ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ خَاصَّةً، فِي تَسْهِيلِ مَبَاحِثِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ، الَّتِي تَرَاوَحَتْ بَيْنَ ثَلاَثَةِ مَوَاقِفَ؛ الأَوَّلُ يَدْعُو إِلَى التَّمَسُّكِ بِثَوَابِتِ النَّحْوِ وَقَوَاعِدِهِ الأُصُولِ وَالثَّانِي لاَ يَرَى غَضَاضَةً فِي تَيْسِيرِ بَعْضِ مَبَاحِثِهِ شَرْطَ عَدَمِ المَسَاسِ بِجَوْهَرِ القَوَاعِدِ، وَالثَّالِثُ لاَ يَرَى مُشْكِلَةً فِي تَطْوِيرِ الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ، وَيُضِيفُ إِلَى الشَّرْطِ السَّابِقِ شَرْطَ عَدَمِ إِغْفَالِ جَانِبِهِ (المَعْنَوِيِّ وَالجَمَالِيِّ)؛ ثُمَّ نَاقَشْتُ دَعْوَتَيْ قُطْرُبٍ وَابْنِ مَضَاءٍ القُرْطُبِيِّ، وَتَوَصَّلْتُ – كَمَا سَيَرَى– إِلَى نَتَائِجَ مُهِمَّةٍ، أَرْجُو أَنْ يُعِيرَهَا عُلَمَاءُ تَارِيخِ النَّحْوِ قَدْراً مِنَ الاهْتِمَامِ فِي الدِّرَاسَةِ وَالنَّقْدِ وَالتَّحْلِيلِ.

وَسَجَّلْتُ فِي الفَصْلِ الثَّانِي مَوَاقِفَ المُحْدَثِينَ وَالمُعَاصِرِينَ مِنَ الفُصْحَى وَالنَّحْوِ وَالإِعْرَابِ، وَنَاقَشْتُ آرَاءَهُمُ الَّتِي تَرَاوَحَتْ عُمُوماً بَيْنَ الصَّرَامَةِ وَالرَّفْضِ وَالتَّسْهِيلِ، وَقَدْ تَعَدَّتْ فِي إِثْرِ ذَلِكَ الطُّرُقُ، وَتَنَوَّعَتِ الصَّيْحَاتُ، وَتَضَارَبَتِ الأَقْوَالُ وَتَبَايَنَتِ الوَسَائِلُ، دَاخِلَ كُلِّ فَرِيقٍ.

مُبْدِياً رَأْيِي فِي نِهَايَةِ الأَمْرِ فِي وَضْعِ آلِيَّةٍ تَحْلُّ – كَمَا سَيَرَى– وَفْقَ مَنْظُومَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ عَنَاصِرَ ثَلاَثَةٍ مُجْتَمِعَةٍ؛ مِنْ أَجْلِ تَيْسِيرِ نَحْوِنَا العَرَبِيِّ خَاصَّةً، وَالتَّعَامُلِ مَعَ عَرَبِيَّتِنَا الفُصْحَى عَامَّةً.

وَأَمَّا الخَاتِمَةُ فَضَمَّنْتُهَا أَهَمَّ النَّتَائِجِ الَّتِي انْتَهَيْتُ إِلَيْهَا فِي هَذَا البَحْثِ.

وَأَلْحَقْتُ فَهَارِسَ البَحْثِ، فَقَسَّمْتُهَا إِلَى سَبْعَةٍ: الفِهْرِسُ الأَوَّلُ لِلآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ، وَالثَّانِي لِلْقِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، وَالثَّالِثُ لِلأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَالرَّابِعُ لِلأَبْيَاتِ الشِّعْرِيَّةِ، وَالخَامِسُ لِلأَعْلاَمِ، وَالسَّادِسُ لِلْمَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ، وَالسَّابِعُ لِفِهْرِسِ مَوْضُوعَاتِ البَحْثِ.

مَعَ الإِشَارَةِ إِلَى أَنَّنِي تَنَاوَلْتُ بِالعَرْضِ البَابَ الأَوَّلَ كُلَّهُ، وَالبَابَ الرَّابِعَ جُلَّهُ وَالفَصْلَ الثَّانِيَ مِنَ البَابِ الثَّانِي، وَالمَبْحَثَ الأَوَّلَ مِنَ الفَصْلِ الثَّانِي لِلبَابِ الثَّالِثِ، وَفْقَ مَنْهَجٍ وَصْفِيٍّ، اسْتَقْرَأْتُ عَلَى أَسَاسِهِ المَذَاهِبَ، وَعَرَضْتُ الآرَاءَ، وَسَجَّلْتُ الرُّسُومَ، وَاسْتَنْبَطْتُ الأَوْجُهَ، وَفَرَشْتُ المَوَاقِفَ؛ تَارِكاً الأَحْكَامَ

المعيارية الَّتي تُمايز بين معاني الأوجه المتفاوتة ، وترجِّح بين المذاهب المتباينة ، وتُناقش المسائل المتشعِّبة، وتُفاضل بين الآراء المختلفة، وتُوازن بين الأفكار المتنوِّعة؛ لأتناول بالدِّراسة على أساسه ما تبقَّى من فُصول ومباحث، بشيءٍ من التَّفصيل، وعُمقٍ في التقصِّي والمُتابعة والنَّقد والتَّحليل.

وحرصتُ على نقل الآيات القُرْآنيَّة برسمها العُثْمانيِّ، تعظيماً للقُرْآن الكريم، وتلافياً للأخطاء الَّتي قد تقعُ في أثناء النَّقل والكتابة والنَّسخ والطِّباعة.

وكذلك قمتُ – من أجل الدِّقَّة المطلوبة في المنهج، والأمانة المرومة في العرض– بتخريج القراءات القرآنيَّة الكريمة القرَّاء الكرام جميعاً، وبتخريج الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة من مصادرها الأصليَّة، وبتخريج الأبيات الشِّعريَّة من دواوين أصحابها ومن كُتب النُّحاة الأُمَّات، وكذلك فقد حرصتُ على ترجمة الأعلام الَّذين ذُكِرَتْ أسماؤهم في البحث ترجمة مُقتضبة ، من القُدماء والمُتأخِّرين والمُحْدثين –ما عدا المعاصرين– مُشيراً إلى تاريخ وفيَّاتهم، وأهمِّ ما صنَّفوا من تآليف، بما يسمح للمتلقِّي بالإحاطة بمعرفة صاحب القول أو الذِّكر، وما يذهب إليه من رأيٍ أو وجهٍ أو نقلٍ أو غيرها؛ ويساعده على محاكمة الأمور فيهم أكبر، ووعيٍ أكثر.

ومن الصُّعوبات التالي واجهتني أيضاً في البحث، تحديد آية وقفت عليها أغلبُ أصحاب كُتب لمعاني الَّذين تكفَّل البحثُ بدراسة كُتبهم حتَّى نهاية القرن الرَّابع الهجريِّ؛ لأنَّ أصحاب هذه الكُتب لم يقف أحدٌ منهم على تفسير آيات القرآن كُلِّها كما فعلى من جاء بعدهم، فقد كنتُ أقف على آية وجَّهها أحدُهم توجيهاً نحويًّا أوصلته إلى ضالَّته بعبقريَّة كبيرة، وقد يكون قد انفرد باجتهاده نابغ في هذا التَّوجيه، لم يسبقه إليه أحدٌ من النَّحويِّين الَّذين سبقوه أو عاصروه ، ثُمَّ أُفاجأ بأنَّ غيره لم يقترب في كتابه من هذه الآية، ولم يُدلِ أيَّ رأيٍ له فيها، والأمثلة على ذلك لا تُعدُّ ولا تُحصى، ممَّا يجلِّي عمليَّة البحث عن شاهد مُشتركٍ بينهم – كي أُفاضل بين آرائهم في توجيهه، من أجل إثبات أثر التعدُّد في الأوجه الإعرابيَّة في تنوُّع المعاني القرآنيَّة في كُتبهم من خلاله–أمراً ليس بالهيِّن.

والَّذي زاد من صُعوبة الأمر أنَّني في هذا البحث أُكمل ما انتهيتُ إليه في بحث الماجستير[1]، وأنَّني تجنَّبتُ أن أقف على آية كنتُ قد درستها فيه، مع العلم بأنَّ هذا البحث مُخصَّص بآراء أصحاب كُتب معاني القرآن إلى زمنٍ محدَّد، بعكس بحث الماجستير الَّذي كانت دراسته عامَّة، تشمل مختلف

---

(1) فقد ذكرتُ في غير موضع من رسالتي (الماجستير) – وهي بعنوان: "أثر الاختلاف في الأوجه الإعرابيَّة في تفسير الآيات القرآنيَّة"– أنَّ البحث في معاني النَّحو بحثٌ جيدٌ، يحتاج إلى مزيد من الدِّراسات الَّتي من شأنها أن تفتح آفاقاً جديدة في مجال البحث النَّحويِّ الحديث، تقوم على أُسس القدماء الرَّاسخة، وفهمهم النَّاضج لوظيفة النَّحو الإفهاميَّة؛ فنبتت فكرة مرَّة أُخرى إلى بحث ذلك بطريقة مختلفة عن الطريقة السَّابقة، وآثرت – بعد أن درستُ ذلك في الماجستير دراسة عامَّة –أن أوسِّع مجال الدِّراسة في هذا البحث بأن حصرتها في كُتب معاني القرآن وإعرابه حتَّى نهاية القرن الرَّابع الهجريِّ؛ انطلاقاً من القاعدة المشهورة الَّتي تقول: "إذا ضاق الأمر اتَّسع ".

كُتُبِ التَّفَاسِيرِ قَدِيماً وَحَدِيثاً، وَلَكِنِّي مَعَ ذَلِكَ آثَرْتُ أَلَّا أُكَرِّرَ شَاهِداً تَنَاوَلْتُهُ بِالدِّرَاسَةِ فِيمَا سَبَقَ، مَا اسْتَطَعْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلاً[1].

وَحَسْبِي أَنْ يَكُونَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ شَوَاهِدَ قَدْ أَسْهَمَ فِي تَوْضِيحِ مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، مِنْ عَلَاقَةٍ ارْتِبَاطِيَّةٍ بَيْنَ النَّحْوِ وَالمَعْنَى، فِي ضَوْءِ الوُقُوفِ عَلَى مَقَاصِدِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ وَأَهْدَافِهِ وَأَغْرَاضِهِ وَغَايَاتِهِ، وَإِيضَاحِهَا وَالكَشْفِ عَنْهَا بِدِقَّةٍ بَالِغَةٍ لَا تَقْبَلُ أَيَّ شَائِبَةٍ تَشُوبُهَا أَوْ تُعَكِّرُ صَفْوَهَا.

وَاللهَ أَسْأَلُ سَدَاداً فِي الرَّأْيِ، وَحِكْمَةً فِي القَوْلِ، وَمَوْضُوعِيَّةً فِي المُعَالَجَةِ، وَتَجَنِّباً لِلزَّلَلِ، وَتَقْرِيباً مِنَ الهَدَفِ، وَإِخْلَاصاً فِي الغَايَةِ، وَأَشْكُرُ لَهُ أَوَّلاً وَآخِراً، وَأَحْمَدُهُ عَلَى إِنْجَازِ هَذَا البَحْثِ.

ثُمَّ أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ وَالعِرْفَانِ إِلَى الجُمْهُورِيَّةِ العَرَبِيَّةِ السُّورِيَّةِ، مُمَثَّلَةً بِوِزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِي، وَجَامِعَةِ دِمَشْقَ، وَكُلِّيَّةِ الآدَابِ وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ -أَسَاتِذَةً، وَإِدَارِيِّينَ، وَعَامِلِينَ- وَأَخُصُّ مِنْهُمْ قِسْمَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الَّذِي قَضَيْتُ فِيهِ سِنِيَّ دِرَاسَتِي كُلَّهَا، فِي مَرْحَلَةِ الإِجَازَةِ (اللِّيسَانْسِ)، وَمَرْحَلَةِ الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا، وَمَرْحَلَةِ المَاجِسْتِير، وَمَرْحَلَةِ الدُّكْتُورَاه هَذِهِ الأَخِيرَةِ.

كَمَا أَتَوَجَّهُ بِالشُّكْرِ الخَالِصِ وَالامْتِنَانِ الكَبِيرِ، إِلَى أَعْضَاءِ لَجْنَةِ المُنَاقَشَةِ المُوَقَّرِينَ، عَلَى مَا أَعْطَوْهُ مِنْ وَقْتٍ، وَمَا بَذَلُوهُ مِنْ جُهْدٍ فِي تَقْوِيمِ هَذَا البَحْثِ، سَائِلاً المَوْلَى -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَجْزِيَهُمْ عَنِ العِلْمِ الَّذِي حَمَلُوا أَمَانَتَهُ خَيْرَ الجَزَاءِ.

وَالشُّكْرُ مَوْصُولٌ مِنَ القَلْبِ إِلَى كُلِّ مَنْ أَمَدَّنِي بِحَرْفٍ أَوْ بِسَطْرٍ أَوْ بِكَلِمَةٍ، وَكُلِّ مَنْ هَدَانِي إِلَى مَادَّةٍ، وَأَرْشَدَنِي إِلَى ضَالَّةٍ، وَقَادَنِي إِلَى دَالَّةٍ.

وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا عَالِمِيْنَ وَمُتَعَلِّمِيْنَ

يَاسِر مُحَمَّد مُطْرَهْجي

([1]) فَمِنَ الآيَاتِ الَّتِي بَيَّنْتُهَا فِي رِسَالَتِي (المَاجِسْتِير)، دِرَاسَةً عَامَّةً وَاسِعَةً، غَيْرَ مَحْصُورَةٍ فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ: الآيَةُ (١٠٢) مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ، وَالآيَةُ (٧) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَان، وَالآيَةُ (١٦٢) مِنْ سُورَةِ النِّسَاء، وَالآيَةُ (٦٩) مِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ، وَالآيَةُ (٢٧) مِنْ سُورَةِ الأَنْعَام، وَالآيَةُ (٤٦) مِنْ سُورَةِ إِبْرَاهِيم، وَالآيَةُ (٨٨) مِنْ سُورَةِ الكَهْف، وَالآيَةُ (٦٣) مِنْ سُورَةِ طه، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ [وَيُمْكِنُ لِلاسْتِزَادَةِ أَوِ الاطِّلَاعِ الرُّجُوعُ إِلَى رِسَالَةِ المَاجِسْتِير مَخْطُوطَةً فِي مَكْتَبَةِ كُلِّيَّةِ الآدَابِ فِي جَامِعَةِ دِمَشْقَ، ص٦٧-١٧٨-١٨٤-١٩٥-٢٨٧-٢٩٢-٢٩٨-٣٠٦؛ أَوْ مَطْبُوعَةً فِي كِتَابٍ عَنْ طَرِيقِ دَارِ البَشَائِرِ فِي دِمَشْقَ، سَنَةَ ٢٠١١م، ص٢١٦—٢٢٢-٢٢٩-٢٤٢—٣٤٨-٣٥٢-٣٥٨-٣٦٢] / وَمِنَ الآيَاتِ الَّتِي رَأَيْتُ مِنَ الضَّرُورِيِّ -وَذَلِكَ لِأَهَمِّيَّتِهَا الكُبْرَى مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِي- أَنْ أُكَرِّرَ دِرَاسَتَهَا فِي هَذَا البَحْثِ، بِالتَّرْكِيزِ عَلَى آرَاءِ أَصْحَابِ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ فِيهَا خَاصَّةً: الآيَةُ (٦) مِنْ سُورَةِ المَائِدَةِ، وَالآيَةُ (١٢٨) مِنْ سُورَةِ طه.

البَابُ الأَوَّلُ: " صِلَةُ النَّحْوِ بِالمَعْنَى فِي ضَوْءِ كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ وإِعْرَابِهِ"

الفَصْلُ الأَوَّلُ: "دَوْرُ النَّحْوِ وَمَكَانَتُهُ وَأَهَمِّيَّتُهُ فِي جَلاَءِ المَعْنَى وَتَوْضِيحِهِ"

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: اِرْتِبَاطُ النَّحْوِ بِالدِّرَاسَةِ فِي مَفْهُومِهِ الوَاسِعِ وَمُسْتَوَيَاتِهِ المُخْتَلِفَةِ

المَبْحَثُ الثَّانِي: اِرْتِبَاطُ الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ مُنْذُ بِدَايَاتِهِ الأُولَى

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: تَعَدُّدُ مَظَاهِرِ تَأْلِيفِ النَّحْوِيِّينَ واللُّغَوِيِّينَ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَإِعْرَابِهِ

الفَصْلُ الثَّانِي: "كُتُبُ مَعَانِي القُرْآنِ وإِعْرَابِهِ حَتَّى القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ"

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: الجُهُودُ النَّحْوِيَّةُ وَاللُّغَوِيَّةُ الأُولَى وأَثَرُهَا فِي كُتُبِ مَعَانِي القُرْآنِ

المَبْحَثُ الثَّانِي: تَعْرِيفٌ مُوجَزٌ بِهَذِهِ الكُتُبِ، وَمُؤَلِّفِيهَا، وَمَنْهَجِهَا، وَمَكَانَتِهَا

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: أَثَرُ هَذِهِ الكُتُبِ فِي تَوْجِيهِ المَعَانِي فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

الفَصْلُ الأَوَّلُ: " نُشُوءُ النَّحْوِ ومَكَانَتُهُ وأَهَمِّيَّتُهُ في جَلاءِ المَعْنَى وتَوْضِيحِه"

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: ارْتِبَاطُ النَّحْوِ بالدِّلالَةِ في مَفْهُومِه الوَاسِعِ ومُسْتَوَياتِه المُخْتَلِفَةِ:

النَّحْوُ العَرَبِيُّ بمَفْهُومِه الوَاسِعِ- دَعَامَةُ العُلُومِ العَرَبِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ والكَوْنِيَّةِ، وَرَكِيزَتُها الَّتِي تَتَنَدَّى عَلَيْها في اشْتِكْنَاهِ حَقَائِقِها واسْتِخْلاصِ قَائِقِ أَسْرارِها، فَلا تَنْفَكُّ مِنْ وَظَائِفِها إلَّا وَحَاجَتُه إلَى عِلْمِ النَّحْوِ بَادِيَةٌ وافْتِقَارُه إلَيْه واضِحٌ؛ فَهُوَ عَوَّادُ المُتَعَرِّبِينَ واللُّغَوِيِّينَ والبُلَغَائِيِّينَ، وَعَتَادُ الفُقَهَاءِ والمُحَدِّثِينَ والأُصُولِيِّينَ، وَعِمَادُ المُفَسِّرِينَ والمُجْتَهِدِينَ والمُشَرِّعِينَ، وَما ذَاكَ إلَّا لارْتِبَاطِه بالمَعْنَى ارْتِبَاطًا وَثِيقًا مُنْذُ نَشْأَتِه الأُولَى مُرُورًا بمَرَاحِلِ تَطَوُّرِه ونُضُوجِه؛ فَلا عَجَبَ أَنْ يَقُولَ عَنْه القَلْقَشَنْدِيُّ[1]: «لا نِزَاعَ أَنَّ النَّحْوَ وقَانُونَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ومِيزَانَ تَقْوِيمِها... لَمْ يَزَلِ العُلَمَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ يَحُثُّونَ عَلَى تَعَلُّمِ العَرَبِيَّةِ وحِفْظِها والرِّعَايَةِ لَمَبَانِيهَا»[2] لاوَيُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ عِلْمًا ويَحْفَظَه ويَتَوَخَّى مَعَانِيَه دُونَ مَعْرِفَةِ قَانُونِه ومِيزَانِ تَقْوِيمِه.

فالنَّحْوُ بهَذِه الوَظِيفَةِ الجَلِيلَةِ يَسْبِقُ عُلُومَ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ جَمِيعَها، عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الحَاجَةِ الشَّدِيدَةِ إلَيْهَا؛ فَهِيَ مَنْدُوحَةٌ عَلَيْه لا تَسْتَغْنِي عَنْ مَؤُونَتِه، لاوتَسِيرُ بغَيْرِ وُجُودِه، يَقُولُ ابْنُ خَلْدُونَ[3]: «والَّذِي يَتَحَصَّلُ أَنَّ الأَهَمَّ المُقَدَّمَ مِنْها -أَيْ مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ- هُوَ النَّحْوُ؛ إذْ بِه تَتَبَيَّنُ أُصُولُ المَقَاصِدِ بالدِّلالَةِ، فَمَعْرِفَةُ الفَاعِلِ مِنَ المَفْعُولِ والمُبْتَدَأِ مِنَ الخَبَرِ، ولَوْلا لَجُهِلَ أَصْلُ الإِفَادَةِ... إذْ في جَهْلِه الإِخْلالُ بالتَّفَاهُمِ جُمْلَةً»[4].

وبهَذَا القَوْلِ تَتَّضِحُ عَلاقَةُ النَّحْوِ بالدِّلالَةِ؛ لِذَلِكَ عَرَّفُوه بأَنَّه: «عِلْمٌ مُسْتَخْرَجٌ بالقَايِيسِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنَ اسْتِقْرَاءِ كَلامِ العَرَبِ، المُوصِلَةِ إلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ أَجْزَائِه الَّتِي تَأْتَلِفُ بهَذَا، فَيَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إلَى تَبْيِينِ حَقِيقَةِ الكَلامِ وتَبْيِينِ أَجْزَائِه الَّتِي يَأْتَلِفُ بهَذَا وتَبْيِينِ أَحْكَامِها»[5].

---

(1) شِهَابُ الدِّينِ، أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ الفَزَارِيُّ القَلْقَشَنْدِيُّ (-٨٢١ هـ)، عَالِمٌ فَقِيهٌ مُحَدِّثٌ مُؤَرِّخٌ أَدِيبٌ بَارِعٌ، أَفْضَلُ تَصَانِيفِه: "صُبْحُ الأَعْشَى في كِتَابَةِ الإِنْشَا"، وَتَهْذِيبُ نِهَايَةِ الأَرَبِ في مَعْرِفَةِ أَنْسَابِ العَرَبِ". انظر: الزِّرِكْلِيُّ، خَيْرُ الدِّينِ، الأَعْلامُ (قَامُوسُ تَرَاجِمِ لأَشْهَرِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ مِنَ العَرَبِ والمُسْتَعْرِبِينَ والمُسْتَشْرِقِينَ)، ج١، ط١٦، دَارُ العِلْمِ لِلْمَلايِينِ، بَيْرُوتُ-لُبْنَان، ٢٠٠٥م، ص١٧٧.

(2) القَلْقَشَنْدِيُّ، أَحْمَدُ بنُ عَلِيٍّ، صُبْحُ الأَعْشَى في كِتَابَةِ الإِنْشَا، ج١، دَارُ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ، القَاهِرَةُ، ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م، ص١٦٧-١٦٨.

(3) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَبُو زَيْدٍ، وَلِيُّ الدِّينِ الحَضْرَمِيُّ الإِشْبِيلِيُّ (-٨٠٨هـ)، الفَيْلَسُوفُ، المُؤَرِّخُ، اللُّغَوِيُّ، الاجْتِمَاعِيُّ، البَحَّاثَةُ الفَصِيحُ، القَوْلُ، الصَّادِقُ اللَّهْجَةِ، اشْتُهِرَ بكِتَابِه "العِبَرُ وَدِيوَانُ المُبْتَدَأِ والخَبَرِ في تَارِيخِ العَرَبِ والعَجَمِ والبَرْبَرِ"، وَمِنْ كُتُبِه "شِفَاءُ السَّائِلِ وتَهْذِيبُ المَسَائِلِ". انظر: الزِّرِكْلِيُّ، خَيْرُ الدِّينِ، الأَعْلامُ، ج٣، ص٣٣٠.

(4) ابْنُ خَلْدُونَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ، مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونَ، ج١، ط٥، دَارُ القَلَمِ، بَيْرُوتُ، ١٩٨٤م، ص٥٤٥.

(5) ابْنُ عُصْفُورٍ، عَلِيُّ بنُ مُؤْمِنٍ، المُقَرَّبُ، تحـ. أَحْمَدُ عَبْدُ السَّتَّارِ الجَوَارِيُّ - عَبْدُ اللهِ الجبوريّ، ج١، ط١، مَطْبَعَةُ العَانِي، بَغْدَادُ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، ص٤٥.

ولم تنقطع الصلة بين البحث النحوي والاستدلال المعنوي عند النحويين القدماء والمتأخرين والمحدثين عموماً؛ إذ المعروف عن الدرس النحوي أن موضوعه الكلمة المؤلفة مع غيرها، أو الجملة التي تدرس من حيث نظمها، ومن حيث ما يطرأ عليها من استفهام أو توكيد أو نفي، ومن حيث وظائف كلماتها؛ ومن هنا يعد النحو دراسة للتراكيب، وليس يضيق بحدود الإعراب ومشكلاته[1] فقد عالج من خلال أبوابه خصائص التركيب جميعها، وقدم وصفاً كاملاً للجملة العربية في مختلف صورها[2].

وقد فطن نحويونا القدماء لذلك، ولعل قصة أبي الأسود الدؤلي[3] مع ابنته، المشهورة التي يكاد يجمع أهل العلم قديمهم وحديثهم – على أنها كانت أهم سبب لوضع النحو العربي، تبين أن اللحن في الحركة الإعرابية نتج عنه لبس في المعنى، أدى بالأب وابنته إلى ضياع في الحوار، وتحول عن حقيقة المعنى المراد، عندما قالت له: «يا أبت ما أشدُّ الحرِّ!»[4]، برفعها كلمة "أشدُّ" ظناً منها أنها تسأله وتستفهم منه عن أي زمان الحر أشد فقال: "شهر ناجر"[5] فقالت: "يا أبت إنما أخبرتك، ولم أسألك"، وتصويب أبي الأسود لحن ابنته بفتح "أشدَّ"، ونصب "الحرَّ" – أزال اللبس، فأدى غرض التواصل والفهم بينهما.

وكذلك قصة ذلك الأعرابي[6] الذي لحن في سورة التوبة من كتاب الله –عز وجل– في زمن الخليفة عمر بن الخطاب[7] ♦ فقرأ: {أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ}[8]، بجر {رَسُولِهِۦ}، آخذاً بمدلول الآية إلى غير المعنى المقصود بها، وتصويب هذا الخطأ الدلالي من قبل عمر له برفع كلمة: {رسولُهُ} أدى إلى إعادة الآية إلى معناها السليم.

---

(1) انظر: كشك، د. أحمد، من وظائف الصوت اللغوي (محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي)، ط٣، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٣.

(2) انظر: البنا، د. محمد إبراهيم، الإعراب سمة العربية الفصحى، ط١، دار الإصلاح، القاهرة، د.ت، ص٩.

(3) ظالم بن عمرو، وأبو الأسود الدؤلي (-٦٩هـ)، قاضي البصرة، تابعي فاضل، أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء، حدث عن عمر وعلي وأبي بن كعب وأبي ذر ..، وهو أول من وضع النحو، وأخذ عنه يحيى بن يعمر. انظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحـ. د. إحسان عباس، ج٤، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ١٩٩٣م، ص١٤٦٤–١٤٧٣.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٢م، ص٢٩٨.

(5) شهر صفر، كان في الجاهلية يقال له: شهر "ناجر".

(6) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، تحـ. أحمد البردوني –إبراهيم أطفيش، ج١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ–١٩٦٤م، ص٢٤.

(7) توفي (٢٣هـ). انظر: الأندلسي، ابن حزم، أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم، تحـ. د إحسان عباس، ج٢، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ١٩٨٧م، ص١٣٧.

(8) والقراءة الصحيحة للآية: {أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ}. سورة التوبة، الآية ٣.

وَنَلْمحُ في بَاب "الانْتِقَامَة مِنَ الكَلَامِ وَالإِحَالَة" مِنَ "الكِتَاب" عِنْدَ سِيبَوَيْه[1] مَا يُعَزِّزُ فِكْرَةَ اهْتِمَامِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ مُنْذُ نَشْأَتِهِ الأُولَى بِالظَّوَاهِرِ الدِّلَالِيَّة، مِنْ خِلَالِ تَقْسِيمِهِ الكَلَامَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ، قَوْلِه: فَهَذَا مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ، وَمُحَالٌ، وَمُسْتَقِيمٌ كَذِبٌ، وَمُسْتَقِيمٌ قَبِيحٌ، وَمَا هُوَ مُحَالٌ كَذِبٌ:فَأَمَّا المُسْتَقِيمُ الحَسَنُ، فَقَوْلُكَ: أَتَيْتُكَ أَمْسِ، وَسَآتِيكَ غَدًا؛ وَأَمَّا المُحَالُ،فَأَنْ تَنْقُضَ أَوَّلَ كَلَامِكَ بِآخِرِه، فَتَقُولَ: أَتَيْتُكَ غَدًا، وَسَآتِيكَ أَمْسِ؛ وَأَمَّا المُسْتَقِيمُ الكَذِبُ،فَقَوْلُكَ: حَمَلْتُ الجَبَلَ، وَشَرِبْتُ مَاءَ البَحْرِ، وَنَحْوِه؛ وَأَمَّا المُسْتَقِيمُ القَبِيحُ، فَأَنْ تَضَعَ اللَّفْظَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه، نَحْوَ قَوْلِكَ: قَدْ زَيْدًا رَأَيْتُ، وَكَيْ زَيْدٌ يَأْتِيكَ، وَأَشْبَاهِ هَذَا؛ وَأَمَّا المُحَالُ الكَذِبُ،فَأَنْ تَقُولَ: سَوْفَ أَشْرَبُ مَاءَ البَحْرِ أَمْسِ»[2] ، وَيُعَلِّقُ الدُّكْتُور محمَّد حَمَاسَة عَبْد اللَّطِيف عَلَى هَذَا التَّقْسِيمِ بِقَوْلِه: «فِي هَذَا النَّصِّ القَصِيرِ تَكْمُنُ بُذُورُ نَظَرِيَّةٍ نَحْوِيَّةٍ دِلَالِيَّة؛ حَيْثُ تَنْدَمِجُ فِي تَوَاؤُمٍ حَمِيمٍ قَانُونَيْنِ النَّحْوِ مَعَ قَانُونَيْنِ الدِّلَالَة... إِنَّ المَقْصُودَ مِنَ الكَلَامِ المُسْتَقِيمِ هُوَ الكَلَامُ المُسْتَقِيمُ اسْتِقَامَةً نَحْوِيَّةً دِلَالِيَّةً... وَالحُكْمُ عَلَى هَذِهِ الانْتِقَامَةِ بِالحَسَنِ أَوِ بِالكَذِبِ يَتَعَلَّقُ بِالمَعْنَى الَّذِي تُفِيدُهُ عَنَاصِرُ الجُمْلَةِ عِنْدَمَا تَتَرَابَطُ نَحْوِيًّا»[3]، وَلَعَلَّ هَذَا وَغَيْرَهُ مَا دَفَعَ بِثَعْلَب[4] إِلَى القَوْلِ عَنْ سِيبَوَيْهِ: إِنَّهُ «عَمِلَ كَلَامَ العَرَبِ عَلَى المَعَانِي، وَخَلَّى عَنِ الأَلْفَاظِ»[5]، وَقَدْ كَانَ سِيبَوَيْهِ يُكْثِرُ مِنَ الاسْتِدْلَالِ بِالمَعْنَى، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِدْلَالُهُ عَلَى جَوَازِ رَفْعِ بَعْضِ المَصَادِرِ عَلَى الابْتِدَاءِ، وَإِنْ كَانَتْ نَكِرَات، قَوْلِه: «هَذَا بَابٌ مِنَ النَّكِرَةِ، يَجْرِي مَجْرَى مَا فِيهِ الأَلِفُ وَاللَّامُ مِنَ المَصَادِرِ وَالأَسْمَاءِ؛ وَذَلِكَ قَوْلُكَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ وَلَبَّيْكَ، وَخَيْرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَيْلٌ لَكَ... وَ{لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[6]؛فَهَذِهِ الحُرُوفُ كُلُّهَا مُبْتَدَأَةٌ

---

(1) عَمْرو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ،أَبُو بِشْرٍ (-١٨٠هـ)، كَانَ أَعْلَمَ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ بِالنَّحْوِ، وَلَمْ يُصَنَّفْ فِيهِ مِثْلُ كِتَابِهِ "الكِتَابُ"، طَلَبَ الفِقْهَ وَالحَدِيثَ مُدَّةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى العَرَبِيَّةِ فَبَرَعَ وَسَادَ أَهْلَ العَصْرِ،لَزِمَ شَيْخَهُ الخَلِيلَ، وَرَوَى عَنْهُ،يُعَدُّ إِمَامَ الطَّبَقَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ طَبَقَاتِ النُّحَاةِ البَصْرِيِّينَ، مَاتَ وَلَمْ يَبْلُغْ ثَلَاثِينَ عَامًا، وَبِمَذْهَبِهِ يَأْخُذُ أَهْلُ البَصْرَةِ. انظر: ابْنُ كَثِير ، عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، تحـ. د. عَبْد اللهِ بْنُ عَبْد المُحْسِنِ التُّرْكِيّ، ج١٣، ط١، دَارُ هَجَر، مِصْر، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٦٠٦-٦٠٧-٦٠٨.

(2) سِيبَوَيْهِ، عَمْرو بْنُ عُثْمَانَ، الكِتَابُ، تحـ. عَبْد السَّلَامِ مُحَمَّد هَارُون، ج١، ط٣،مَكْتَبَةُ الخَانِجِي،القَاهِرَة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص٢٥-٢٦.

(3) عَبْد اللَّطِيف، د. مُحَمَّد حَمَاسَة، النَّحْوُ وَالدَّلَالَةُ (مَدْخَلٌ لِدِرَاسَةِ المَعْنَى النَّحْوِيِّ-الدِّلَالِيِّ)، ط٢ ، دَارُ غَرِيب، القَاهِرَة، ٢٠٠٥م، ص٨١-٨٣.

(4) أَبُو العَبَّاسِ، أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى، ثَعْلَب (-٢٩١هـ)، مِنْ أَئِمَّةِ الكُوفِيِّينَ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، سَمِعَ ابنَ الأَعْرَابِيِّ وَالزُّبَيْرَ بنَ بَكَّار، وروى عنه الأَخْفَشُ الأَصْغَرُ وأبو بكر بن الأَنْبَارِيُّ وأبو عُمَرَ الزَّاهِدُ وغيرهم،وكان ثِقَةً حُجَّةً صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدقِ اللَّهْجَةِ والمعرفة بالعربيَّة ورواية الشِّعرِ القديم ،وُلِدَ وَمَاتَ في بغداد، له: "الفصيح"، و"معاني القرآن"، و"إعراب القرآن". انظر: ابْنُ خَلِّكَانَ، أَبو العَبَّاس أَحْمد، وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ، تحـ. د. إحسان عبَّاس، ج١،دار الثَّقافة، لبنان، د.ت، ص١٠٢-١٠٣-١٠٤.

(5) الزَّبِيدِيُّ، مُحَمَّد بْنُ الحَسَنِ، طَبَقَاتُ النَّحْوِيِّينَ وَاللُّغَوِيِّينَ، تحـ. مُحَمَّد أَبُو الفَضْل إِبْرَاهِيم، ط٢، دَارُ المَعَارِف، مِصْر، د.ت، ص١٣١.

(6) سُورَةُ هُودٍ، الآيَةُ ١٨.

The introduction implies: the objective of the research, the assumptions and the methodology of the research, plus the linguistic material.

As for the first chapter: " The Relation of the Grammar with the meanings in the light of the books of the meaning and parse of the Quran", with two sections:

The first section talks about the role of grammar and its importance in clarifying the meaning, showing the most important reasons which led to the current status of grammar and the connection of these reasons to the intention of understanding. Exceeding the restriction of fighting against the tune. Particularly, the main reason for establishing grammar, is to serve, preserve and to maintain Quran, the thing which strengthens the role and the importance of grammar to clarify and illustrate the meaning throughout all its growing and developing stages. Moreover, this matter seems very obvious by the variety of writing and composing explanations for Quran and in its paring to all the grammarian and linguists.

The second section talks about the role of the early grammarian efforts and its impact on the books of the meaning and parsing of Quran; in addition to a brief definition of these books 'that I mentioned earlier'. And its authors with the method and position of each. Later, showing the importance of these books in directing the meanings and varying the intentions and the connotations in Quran.

As for the second Chapter: "The phenomenon of multiplicity in the grammatical analysis in the books of the meanings and parsing of Quran, there are two sections, as well:

The first section discusses the role of the differences in the grammatical directions by varying the meanings and multiplying the connotations; because parse-making obliges the one who is handling it, to contemplate the meaning of the text that he/she is processing it.

It also interpolates the rights of the grammar rules, and what intervenes in grasping the meaning is the bragging of the position or situation in which this text has been said in.

Because neglecting the position of the text underestimates it, it also distances it from its real intention. This all in addition of maintaining the sound grammatical rule and use it as a resource, and explaining its phrases " when necessary", in which it concords with the origins of grammar, and emanates from the spirit of the Arabic language and its vitality, without ignoring its style and elegancy.

The second section talks about the most important reasons of the grammatical differences amongst the authors of the books of the meaning and parsing of Quran, after identifying the concept of differences and conflict in

interrogate the its texts. Since it is the higher rank in the Arabic language for clarity, and the Quranic text is a legislative one which was revealed to organize the affairs of the tribal society , and to convey it from Bedouin to the urban. One of the most important reasons for the success of achieving its goals is, the brilliant employment of the Arabic language in the best way to fulfill its request, confirmed by the quotation of Makki Bin Abbi Talib Alqaysiey, in the introduction of his book ,"The Problem of Parsing the Quran", he says 'I have noticed that the single most important thing that the seeker of quranic knowledge, and the one who desires to, (tajweed) improve his/her pronunciations, understand its meanings, knowing its styles of reading and languages . and the most thing that thee reader needs is to know how to parse it and explore the position of its case markers wither they are consonant or vowels, so that it could be safely far away from the unnecessary beat or rhythm, assisted by the precise pronunciation of it. Moreover, to be familiar with the meanings which might differ by the change of the case markers, by grasping what Allah Almighty intended by it for His servants. Therefore, knowing the facts and essence of parse, qualify to know more meanings, and to clear up the confusion, to show up the benefits, and for the address to be understood well in addition to knowing the reality of what is required.

Grammar, specifically, serves the quranic text the most, and it is also preserved by it. So, no wonder if this immortal book is the primary motivator of its genesis. Moreover, this science is applied to it in order to gain the ability to soundly pronounce it without a tune. In addition to grasp it well and to seek the satisfaction of God while teaching and serving it and its sciences.

From the above, I developed an idea for my research which completes the efforts of the old scholars and narrators in this domain, and it also achieve the purposes, the goals, the objectives and the intentions that I pointed at. Therefore, I confined the study in the Quran, in general, because it's the first and the major source for the Arabic grammar, in which scholars have derived all the Arabic sciences from. And in the books of the" Meanings and parsing of Quran" until the end of the fourth Islamic century, specifically. Because the writers of these books focus on the resulted meaning from the differences in its parse, which is the key purpose of required research. During this period when the efforts of grammarian were met and completed, their grammar took root and their gauge were set up.

I entitled it " The Impact of the Multiplicity of the Syntactic Aspects in Directing the Religious Meanings(In the books of the Context of Quran and its Parsed Until the End of the Fourth Islamic Century)".And I also divided it into five sections or chapters, preceded by introduction and followed by a conclusion and in the end the indexes of the research.

The Introduction

Syntax is the most beneficial branch of knowledge, and the one most related to forensic science, of which it applies many of the same techniques.

Exegesis is one of the forensic sciences through which the Quran is understood, illustrated, and extracts its meanings from. Syntax is broadly conceived to be one of the most essential sciences which assist exegeses, due to its importance and strong association with deriving meanings and concepts.

The words of Ibn Attieah , "Parsing Quran is an origin in Exegesis", could be interpreted as a confirmation of the Prophet 's saying: "Express the Quran , and seek its wonders". The meaning of Quranic verses are clarified through exegeses of prophetic and scholarly sources, of which Sharia law applies such knowledge a binding constitution, and religion takes it as a methodology. All this cannot be fulfilled except through in-depth study of the secrets and mysteries of the Arabic language, especially its grammatical roots

The lens through which I view this topic through will emphasize the importance of Arabic grammar. In particular, examples illustrating the impact of parsing in directing religious meanings (from the scholarly books of interpretations and parsing of Quran from the end of the fourth Islamic century).

This endeavor is merely an insight into the meanings through grammar, by unfolding and illustrating many Quranic signs. The goal is to highlight for the Arabic learner the closely intertwined connections between meanings and parsing, for example, whenever the paraphrasing of one word is varied, the meaning of the word varies as well, and vice versa..

Thus, my motivation in choosing this research is, on one hand, to bring to light the influence which grammar has on explaining religious context , and the lucidity of its rules. On the other hand, it is to enrich Islamic and Arabic libraries dedicated to the acquisition of this knowledge, because the resources that are available lack contemporary sources. It is my goal that this work will unveil the importance of grammar, analyze the language and provide sound interpretations which include an analysis of rhetoric, composition and related topics. I hope that the results for which I strive are refreshing and beneficial.

My aim is to clarify how the Arabic language is analyzed in order to accurately relay the true objectives and mission of the Quran, through studying its grammar. In light of this goal, I chose a subject that highlights the diversified and expanded role of grammar in the meanings of the Quranic signs. Taking into consideration that grammar is the concern of other forensic science as well, in which it originated to understand the Quran and to look for whatever it helps to